الفصل الأول

في أولية أمره قبل ولادته

سمعته ﷺ **يقول**: كان سيدي العربي الفشتالي وليًّا من أولياء الله تعالى، أخذ عن الشيخ سيدي محمد بن ناصر صاحب وادي زرعة ـ نفعنا الله به- وأخذ ثانيًا عن سيدي مبارك بن علي، وكان سيدي مبارك المذكور يخدم [الشطاطيب](١)، فلقيه سيدي العربي بجامع القرويين من محروسة فاس، فتوسم سيدي العربي فيه الخير والصلاح، وقال له: [يا](٢) سيدي، علمني كيف يحصل السر [لأربابه](٣)؟ فقال له سيدي [مبارك](٤): اعطس، فقال سيدي العربي: ما جاءني عطاس في هذا الوقت، فقال سيدي مبارك: وكذلك أنا ما جاءني، كيف أعلمك ذلك؟ فالتزمه سيدي العربي، ودام على محبته إلى أن نال منه ما نال.

قال ﷺ: وكانت لسيدي العربي أخت، وكانت لهذه الأخت بنت، وأبو البنت علال القمارشي [من ذوي السعة والغنى، فمات علال القمارشي وتزوجها رجل من أهل مكناسة الزيتون بعد علال القمارشي](٥)، فبقيت البنت عند سيدي العربي، فجعل يربيها ويحضنها ويحبها محبة شديدة، وينفق عليها [متاعه](٦).

وكان سيدي العربي مع كونه وليًّا فقيهًا من الفقهاء، ومقرئًا من جملة المقرئين، فكان يدرس العلم لأهله ويصحح الطلبة عليه ألواحهم ويجودونها عليه، فكان أبو مسعود من جملة من يأخذ عنه العلم، فلما كان ذات يوم وقد تم المجلس ناداه سيدي العربي، وقال له: إني أريد أن أزوجك ابنة أختي، وكان اسم أخته راضية واسم [ابنتها](٧) فارحة، فقال له أبو مسعود: إن أعطيتني فإني أقبل، فقال: أنا أعطيتك.

---

(١) في (ب) بالمكانيس.
(٢) زيادة في (أ).
(٣) في (ب) إلى أربابه.
(٤) في (ب) مبارك بن علي.
(٥) زيادة في (أ).
(٦) في (ب) ماله.
(٧) في (ب) أمها.

فقال [أبو مسعود][1]: وأنا قبلت، فقال له سيدي العربي: والصداق والجهاز كله علي، لا ينوبك أنت منه شيء، ففرح أبي غاية الفرح.

وكان سيدي العربي يتودد إليه قبل ذلك غاية الوداد، وكلما لقيه أعطاه ما تيسر وفرح به، فلما تم العقد بينهما جهز سيدي العربي ابنة أخته وبعث بها إلى أبي، ثم لقيه بعد ذلك [وقال][2] له: جئني إلى حانوتي، وكان يشهد في سماط العدول، فكان أبي يجيئه كل يوم بعد صلاة العصر فيعطيه سيدي العربي موزونتين كل يوم.

وسمعت سيدي الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الفاسي يقول: كنت أسلك لوحي على سيدي العربي الفشتالي، [فيجيء][3] أبوك مولاي مسعود الدباغ فيعطيه سيدي العربي كلما قبض في الحانوت، وكانت لابنة أخته أرض للحراثة كثيرة بزواغة الموضع المعروف، ورثتها من أبيها علال القمارشي، فقال سيدي العربي لأبي مسعود: إن البنت التي عندك رشيدة فتوكلك على بيع البلاد التي لها بزواغة، فاذهب وبعها، ولا تترك منها شيئًا، فذهب إلى زوجته فوكلته، وكانت لها أخت من أبيها فذهب إليها أبي لتوكله على بيع الجميع فأبت، فباع نصيب أمي، وبقيت أختها تستغل بلادها نحو الثلاثة الأعوام ثم جاءت [الودية][4] الطائفة المعروفة بالظلم، فغصبوا بلاد الناس التي بزواغة، فغصبت أرض أختها في جملة ما غصب، فمن ذلك اليوم ما انتفعت منها بشيء، فعلموا أن ذلك كشف من سيدي العربي.

قال: ولم يزل سيدي العربي يتودد إلى أبي ويأتي له بالطعام العجيب حتى لقد سمعت أمي ـ رحمها الله تعالى ـ تقول: منذ مات سيدي العربي ما أكلنا الطنجية، كان ـ رحمه الله ـ يصنعها لنا كل يوم، فإذا صلى بالناس العشاء في مسجده دقَّ علينا الباب فنخرج إليه فيمكنها لي، هذا شغله معنا كل يوم حتى توفي، رحمه الله تعالى.

وكان يقول لنا: إنه يتزايد عندكم ولد اسمه عبد العزيز، له شأن عظيم في الولاية.

---

(١) في (ب) أبي.
(٢) في (ب) فقال.
(٣) في (ب) فيجيئني.
(٤) في (ب) الوداية.

وسمعت أمي تقول: إن سيدي العربي الفشتالي قال: رأيت النبي ﷺ فقال لي: إنه سيزيد ولي كبير عند ابنة أختك، فقلت: يا رسول الله، صلى الله عليك، ومن أبوه؟ فقال ﷺ: أبوه مسعود الدباغ، فهذا كان أعظم سبب في رغبة سيدي العربي في مصاهرة أبي مسعود.

وكان سيدي العربي يتمنى أن يدرك ولادة مولاي عبد العزيز، فلما كان الوباء الذي جاء عام تسعين وألف مات سيدي العربي في ذلك الوباء، فلما حضرته الوفاة أرسل إلى أبي مسعود فجاءه فقال: أين زوجتك؟ فأرسلوا إليها فلما حضرا معًا قال لهما سيدي العربي: هذه أمانة الله عندكما حتى يزيد عندكما عبد العزيز، فأعطوه هذه الأمانة، قال: وكانت الأمانة [شاشية وسباطًا كنابيًا أسود، لأنه هو الملبوس في ذلك الوقت][1] قال: فأخذت أمي الأمانة وصانتها، فزاد عندها في ذلك الحمل بنت ثم بقيت ما شاء الله، ثم حملت بي فزدت عندهم وبقيت حتى بلغت وصمت رمضان، فألهم الله تعالى أمي إلى الأمانة، فذهبت فجاءتني بها وقالت: يا ولدي، إن سيدي العربي الفشتالي أوصى إليك بهذه الأمانة، قال: فأخذتها وجعلت [الشاشية][2] على رأسي ولبست [السباط][3] في رجلي، فحصلت لي سخانة عظيمة حتى دمعت عيناي، وعرفت ما قال لي سيدي العربي، وفهمت إشارته، والحمد لله رب العالمين، وكان ذلك سنة تسع ومائة وألف.

* **قلت:** هذا ما سمعت منه في شأن سيدي العربي، ولم أدرك أنا سيدي العربي، بل كنت في ذلك الوقت الذي مات فيه في المهد ابن ستة أشهر أو ما يقرب منها، غير أني سمعت الناس يثنون عليه بالخير، ويذكرونه بالورع والزهد وقيام الليل.

وسمعت من الثقات أن سيدي أحمد بن عبد الله الولي الكبير، العارف الشهير، صاحب [المخفية][4] ﷺ كان يثني كثيرًا على سيدي العربي الفشتالي ويقول: إن سيدي العربي كان من أكابر الأولياء العارفين، وقد علمت جلالة سيدي أحمد بن عبد الله المذكور وأمانته، واتفاق الناس على ولايته وإجماعهم على سره وكشفه، وسطوع نور بصيرته.

---

(١) في (ب) طربوش وبلغة سوداء؛ لأنها كانت ملبوس ذلك الوقت.
(٢) في (ب) الطربوش.
(٣) في (ب) البلغة.
(٤) في (ب) الخفية.

وقد سمعت العدل الأرضى الفقيه سيدي عبد القادر أحماموش هو من القاطنين بمدينة صفر، وكان من أصحاب سيدي أحمد بن عبد الله المذكور، ومن المكثرين زيارته يقول: لما مات سيدي العربي الفشتالي، قال لنا سيدي أحمد بن عبد الله- نفعنا الله به-: إن سيدي العربي الفشتالي كان من أكابر الأولياء، ولو لم يمت ما ذكرت لكم شيئًا من أموره.

قال: وكنت من [طلبة][1] سيدي العربي، وممن يحضر درسه ويلازمه، وما كنا قط نظنه وليًّا؛ لأنه كان يخفى أمره.

قال: وسمعت سيدي أحمد بن عبد الله يقول: بينما أنا مع سيدي العربي الفشتالي بسايس الموضع المعروف إذ قال لي: إنه حدث أمر، فقلت: وما هو؟ قال: مات سيدي [محمد بن ناصر] رحمه الله الآن، فقلت: وما يدريك؟ فقال: مات من غير شك، قال سيدي أحمد بن عبد الله: فتعجبت منه ثم قال لي: انظر إلى هذا الذي أمامنا، فإذا هو خيال بعيد جدًّا، فقال: إنه يأتينا بخبر سيدي [محمد بن ناصر][2]، قال: فجعلنا نسير حتى اجتمعنا مع ذلك الرجل، فقلنا له: ما الخبر؟ فقال: مات سيدي محمد بن ناصر.

قال: وسمعت سيدي [أحمد بن عبد الله][3] يقول: كنا في وقت الحصار بعد موت زيدان تضربنا الشبارات التي بالقصبة الجديدة، وكانوا ينصبون [عليها الأنقاض][4] حتى كانت كورتها تبلغ بقرب ديار سيدي أحمد بن عبد الله، قال سيدي أحمد: فذهبت لأنظر مواضع الشبار، فخرجت وما يعلم ما في قلبي أحد، فلقيني سيدي العربي الفشتالي فقال لي: إلى أين تريد؟ فقلت: لأنظر إلى الشبارات، فقال: لا تفعل، فقلت له: لابد أن أفعل، فقال: إن كنت ولابد ذاهبًا فأنا أذهب معك، قال: فذهب معي، فجعلت كلما أردت أن أنظر شبارًا [يرغبني][5] سيدي العربي، وأساعفه حتى تغفلته مرة، فنظرت إلى شبار في برج فسقط ذلك البرج بأهله.

قال: وسمعت سيدي أحمد بن عبد الله يقول: كنت ذات يوم بالقرويين فلقيني

(١) في (ب) تلامذة.
(٢) في (ب) أحمد بن ناصر.
(٣) في (ب) محمد بن عبد الله.
(٤) في (ب) علينا المدافع.
(٥) في (ب) يروعني.

سيدي العربي ولا نية لي في زواج، فلما رآني قال لي: المرأة مباركة، فقلت: أية امرأة؟ فقال لي: المرأة التي تتزوجها، فقلت: ما في خاطري شيء، فقال: إنك تتزوجها، قال سيدي أحمد بن عبد الله: فما بقيت إلا سبعة أيام وإذا بخاطري تحرك للزواج فتزوجت.

* قلت: وسمعت أنا قريبًا من هذه الحكاية من سيدي أحمد بن عبد الله، وأبهم فيها من أخبره.

قال: وسمعت سيدي أحمد بن عبد الله يقول: كنت مع سيدي العربي الفشتالي فجعل يتكلم معي في شأن الأولياء، فجعلت أذكر له عددًا منهم، فقال لي: إني أتكلم معك في الأكابر، وأمَّا الأصاغر فإني أعرف من هنا إلى بني بازغة وهي على [مرحلة][1] من فاس نحوًا من أربعمائة ولي

* قلت: وسمعت أنا هذه الحكاية من سيدي أحمد بن عبد الله، وأبهم أيضًا صاحب الحكاية.

قال: وسمعت سيدي أحمد بن عبد الله يقول: كان سيدي العربي الفشتالي يخفي أحواله ويكتم أسراره، ولقد تكلم ذات يوم بعض [طلبته][2] فقال: أتظنون أن الكشف شيء، إنما هو شطارة وسرعة فهم، وإن شككتم في هذا فانظروا إلي، فإنكم تعرفوني وتعرفون أحوالي كلها، وتعرفون أني لست بولي، فقالوا له: نعرفك ونعرف أنك لست بولي، فقال سيدي العربي الفشتالي لواحد منهم بعينه مكاشفًا: ألست أنك تريد تفعل كذا في وقت كذا؟ فقال [الطالب][3]: نعم، فقال سيدي العربي: هو ما قلت: إن الكشف شطارة، فصدقوه وظنوا أن الكشف شطارة، قال: وتلاهى سيدي العربي عنهم.

قال: وسمعت سيدي أحمد بن عبد الله يقول: دخلت ذات يوم مسجد القرويين فوجدت فيه سيدي العربي الفشتالي وهو [متغير الوجه أصفر اللون][4]، فقال لي: ما في هذه الساعة ما يتكلم به معك ولا مع غيرك؟ فقلت له: ولم؟ فقال: إني قرأت هذا البيت

---

(١) في (ب) مرحلتين.

(٢) في (ب) تلامذته.

(٣) في (ب) التلميذ.

(٤) في (ب) متغير اللون مصفرًا.

من تائية ابن الفارض وهو قوله:

فَلَـوْ خَطَـرَتْ لِي فِي سِـوَاكَ إِرَادَةٌ عَلَى خَاطِرِي سَهْوًا قَـضَيْتُ بِـرِدَّتِي

فوجدت إرادة خطرت لي في سواهم، فقضيت بردتي [بها]، فما فيّ خير ولا [فيّ] ما يخالط، ولا [ما][1] يعرف وتغير كثيرًا، قال سيدي أحمد بن عبد الله: فقلت له: إن هذه حالة نزلت بابن الفارض ولم تدم عليه، فقال سيدي العربي: جزاك الله خيرًا، لقد سرى عني من كلامك هذا.

قال: وكان مولاي العربي القادري ممن أدرك شيئًا من طريق القوم، ولاحت عليه شواهد أنوارها، وكان ممن يعرف سيدي العربي الفشتالي، وكان لا يظن فيه ولاية، بل يعتقده من جملة العلماء لا غير.

قال: وكان سيدي العربي إذا لقيه يفرح به ويرحب به غاية الترحيب.

قال: فلما كان ذات يوم وجد مولاي العربي سيدي العربي مع سيدي أحمد بن عبد الله ،فوجدهما يتكلمان في معارف وعلوم عالية، قال: فسأل مولاي العربي القادري سيدي محمد دريج النطاوني ـ وهو بضم الدال وتشديد الراء بعدها ياء وجيم في آخره ـ فقال له: وهل يتكلم سيدي العربي مع سيدي أحمد بن عبد الله في هذه المعارف في غير هذا اليوم؟ أو ما تكلم معه فيها إلا في هذا اليوم؟ فقال له سيدي محمد دريج: دائمًا يتكلمان في هذه المعارف، قال صاحبنا سيدي عبد القادر [المشد][2]: فعلم مولاي العربي بولاية سيدي العربي الفشتالي، وعلم سيدي العربي أن مولاي العربي علم [بها][3]، قال: فمن ذلك اليوم ما لقيه إلا وتستر منه، وانقطع ما كان من الفرح والترحيب إذا لقيه؛ لكثرة ما كان يخفي أموره.

وسمعت صاحبنا المذكور يقول: كنت قاطنًا بفاس في حصار زيدان، فطال الأمر على أهل فاس ولحقهم من ذلك ضرر عظيم.

---

(١) الزيادة من (ب).

(٢) في (ب) المتقدم.

(٣) في (ب) بولايته.

قال: فكان سيدي العربي الفشتالي يقول: ما لكم بد من مولاي إسماعيل طولتم أو قصرتم، فكان يذكر هذا الكلام دائمًا حتى عرف به، فصار الناس الذين لا يحبون السلطان يقولون: إن سيدي العربي الفشتالي [إسماعيل][1] قال: فما ذهب الليل والنهار حتى ظهر مصداق ما قال سيدي العربي، وألقوا السلم وطلبوا الأمان من السلطان ـ نصره الله ـ ووقع الصلح والحمد لله رب العالمين.

وسمعته يقول: سمعنا من جيران سيدي العربي الفشتالي يقولون: كان سيدي العربي يحيي عامة الليل بالقيام وتلاوة القرآن، فكانوا في أول الليل يسمعون قراءته ثم لا يزال كذلك حتى تنزل به أحوال وواردات إلهية، فلا يسمعون في آخر الليل إلا حركة ذاته بالاضطراب والاهتزاز والدريج على الأرض ﷺ ونفعنا به آمين.

وسمعت الثقة الأرضى الفقيه سيدي المهدي بن يحيى يقول: إن سيدي أحمد بن عبد الله كان كثيرًا ما يثني على سيدي العربي الفشتالي، ويصفه بالولاية التامة والكشف الكبير، ويحكي عنه في ذلك حكايات كثيرة.

قال: فمن ذلك أني سمعت سيدي أحمد بن عبد الله يقول: كنت مع سيدي العربي الفشتالي بسوق الخميس، قال: والسلطان مولاي رشيد رحمه الله في ملكه والملك في استعلاء أمره، ولم يبق منازع ولا معارض، وطاب له الملك، وجاءه الهناء، فبينما أنا مع سيدي العربي الفشتالي في سوق الخميس فقال لي: إني الآن أسمع النديب [والنواح][2] على مولاي رشيد يشير إلى موته، وكان موته بمراكش، فقلت: كيف يكون هذا، والآن استفحل ملكه؟ قال: فلم يكن إلا قليل حتى جاء الخبر بموت مولاي رشيد رحمه الله.

وسمعت سيدي المهدي المذكور يقول: سمعت سيدي أحمد بن عبد الله يقول: كان سيدي العربي الفشتالي من أهل الخير والصلاح والولاية الظاهرة، وكان ممن يحافظ على ظاهر الشرع المحافظة التامة، فكنت معه ذات يوم بمسجد القرويين ونحن نتحدث، فبينما نحن نتحدث إذ سمعنا المؤذن [يؤذن][3] قال: فخرج سيدي العربي من المسجد وغاب

---

(١) في (ب) إسماعيلي.

(٢) الزيادة من (ب).

(٣) الزيادة من (ب).

[هنيهة][1] ثم رجع، فقلت له: ما فعلت في خروجك؟ فإنك لم تقض حاجة حتى تقول: إنك خرجت إليها، وليس وقت صلاة جماعة حتى تقول: إنك خرجت إليها، فأي شيء خرجت تصنع؟ فسكت عني، فألححت عليه، فقال: إنك لسئول، خرجت لأخطو خطوات من جاء إلى مسجد ربه ليصلي فيه، فإن الخطوات التي كانت قبل جلوسي معك إنما كانت لأجل الجلوس معك، فأعجبني ذلك من أمره غاية، وعلمت أنه من المحافظين على آداب الشريعة.

وسمعته يقول: سمعت سيدي أحمد بن عبد الله يقول: كان سيدي العربي الفشتالي حسن الخلق، كثير التحمل والصبر على [إذاية][2] الخلق، وكان من جملة العدول، فشهد ذات يوم على رجل بشهادة حق، فغضب الرجل، فواجه سيدي العربي بالشتم والسب، فلما فرغ من شتمه لم يزد سيدي العربي على أن قال له: إن الشهادة التي شهدت بها عليك وجهها في الشرع كذا، وحكمها كذا، ووجه صوابها كذا، فلم يزد على أن ذكر له وجه ما فعل وأعرض عن شتمه وسبه، قال: فتعجب شاتمه من حسن خلقه، وندم على ما صدر منه وتاب.

وسمعت سيدي المهدي المذكور يقول: ما زلنا نسمع من جيران سيدي العربي الفشتالي الثناء عليه، ويذكرونه بالخير حتى أنهم ذكروا عنه أنه كان إذا اشترى اللحم لداره اشتراه لجيرانه، ويقول: لا أطبخ [اللحم][3] وحدي، وأترك جيراني بلا لحم.

وسمعت غير واحد من الثقات يقول: إن سيدي العربي قدم لزاوية المخفية قبل أن يكون بابها الكبير ـ يعني: باب المسجد الكبير ـ فنظر إلى موضع الباب الكبير اليوم وقال: لابد أن يفتح في هذا الموضع باب يدخل الناس منه إلى المسجد، وسمع منه هذا الكلام غير واحد، منهم سيدي المهدي الفاسي شارح «دلائل الخيرات» فلم يذهب الليل والنهار حتى فتحوا الباب في الموضع المذكور، وهو الباب المعروف الذي يسلك منه إلى دار الوضوء.

وسمعت العدل الأرضى سيدي الحاج محمد بن سودة يقول: سمعت فلانًا يقول:

---

(١) في (ب) هنيئة.

(٢) في (ب) أذية.

(٣) الزيادة من (ب).

دخلت على سيدي العربي الفشتالي في داره فوجدته يروح ويشطح فقلت له: ما هذا؟ فقال: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

وسمعت العدل سيدي العالم الشامي يقول: كنت أتكلم مع سيدي العربي الفشتالي وأمدح له الوقت وحكامه، وأذم الحكام السابقين، مثل ابن صالح وأمثاله، فذكر لي ﷺ ما سيقع من حكام الزمان، فعلمت أن ذلك من كشوفاته ﷺ.

وسمعته يقول هو وغيره: إن سيدي العربي كان في العدول يشهد، وكان يتورع كثيرًا، فلا يشهد إلا فيما هو مثل النهار، وإذا أعطي أجرة كثيرة ردها ولا يأخذ إلا ما قل، وإذا جاء من يشهد عنده، وقبض منه ما يقبض ثم جاء آخر يشهد عنده يقول له: اذهب إلى جاري، فإنا قد استفتحنا.

وكراماته ﷺ كثيرة، ومناقبه في الناس شهيرة، وكفاه فخرًا وجلالة ذكر الربط الذي وقع [بينه وبين][1] شيخنا غوث الزمان وسيد العصر والأوان، والله تعالى يجعلنا بمنه وفضله وكرمه من المحسوبين عليهم آمين آمين آمين بجاه سيد الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

---

(١) في (ب) له مع.